توضيح أمر بياني في تزكية الصعافقة قديمًا

بسم الله والحمد والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اتّبع هداه،

أما بعد، فإنه من دقيق مكر الله الحسن لعبده الذي يكفيه سبحانه شرَّ عدوه، أن يجعل عدوه يُظهر – دون أن يشعر- دليل براءته من فرية طالما روّج لها هذا العدو الماكر عليَّ، وجعلها تكأة للدجل والتشويه للأمناء الشرفاء.

وقد قال الله عز وجل: {وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}، وقال عز وجل: {اسْتِكْبَارًا فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ}.

والعبد المؤمن إذا واجهه أعداءٌ مَكَرَةٌ –فَجَرَةٌ في الخصومة- ينبغي أن يتعلّق قلبه دائمًا بقوله تعالى: {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ. إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُم مُحسِّنُون}، نسأل الله سبحانه أن نكون منهم.

فقد قام القوم الذين عُرِفوا بالصَّعافقة – وهم قومٌ بُهت- بنشر صوتية لمجلس خاص جمع بين الشيخين الوالدين الكريمين: ربيع بن هادي المدخلي، وحسن بن عبدالوهّاب البنا –حفظهما الله ومتَّعهما بالعافية-، مع بعض الطلبة، والذي سُجِل خلسة بدون إذن الشيخين الوالدين الكريمين[1].

وفي هذه الجلسة قال شيخنا الوالد العلامة ربيع بن هادي –حفظه الله-: "خالد أبو عبد الأعلى، أيَّد محمد هادي وجاء هنا وعاتبته وبينت له، وأنه ما عنده شيء، قلت له اكتب اعتذارًا، كتب الكتاب ثم رجع مرة ثالثة مع محمد هادي".

قلت: وقد ذكر –حفظه الله- ما حدث إجمالاً، وإليك التفصيل؛ كي تتضح الأمور:

ففي ليلة الأربعاء 3 ربيع الآخر 1439 صليت العشاء في المسجد النبوي، وتوجهت إلى بيت شيخنا العلامة ربيع بن هادي وصحبني تلميذي الأمين محمد بن أمين الفرنسي، فلما وصلت كان في استقبالي عمر ولد الشيخ ربيع –وفقه الله-، فجلست في غرفة الشيخ في الطابق العلوي، ولم يكن

1() فأقر الشيخ كلامي، ثم قال لي الشيخ: الكوري هو الذي سجّل، فقلت له: لا.. ما سجَّل لم يكن موجودًا، ليس هو الذي سجّل، وليس الذي نشر، الذي نشر فواز المدخلي.

فسألني الشيخ: مَن فواز؟ من الصعافقة؟ قلت: نعم الذي في الجنوب –في صامطة- وهو الذي يطعن الآن في مشايخ الجنوب: الشيخ عبدالله النجمي، والشيخ محمد زيد المدخلي، والشيخ محمد صغير عكور، يطعن فيهم ويسقطهم، فقال الشيخ: لا حول ولا قوة إلا بالله!

ثم سألت الشيخ –حفظه الله-: هل يرضيكم هذا شيخنا أن يُسقَط هؤلاء الأفاضل الذين هم تلامذة شيخنا الوالد العلامة زيد؟

فأجاب –حفظه الله-: رجل عنده عجز، وعنده نقص؛ يسقط الكبار، يسقط الأصلاء؛ هذه جرأة!

الشيخ فيها، وبعد برهة أُذِن لنا في الدخول على الشيخ في غرفة أخرى كان يستريح فيها، وكان حاضرًا: مهنّد[2] –وما كنت أعرفه في تلك الفينة-، وعبدالمعطي الرحيلي.

وبعد أن سألني الشيخ عن أحوال مصر والشيخ حسن، سألني مباشرة: هل أنت تكلّمت في عرفات وعبدالواحد وعبدالإله وإخوانهم؟

فقلت: لا.. قال: البتّة؟ .. قلت: البتَّة!

فأتى عبدالمعطي بورقة فيها تفريغ كلامي الذي استل من إحدى مجالسي في التعليق على "رسائل الشيخ محمد بن هادي إلى طالب العلم"، وهذه المجالس كانت داخلة تحت سلسلة تعليقاتي على كتابي "التعصُّب للشيوخ"، وكان تاريخ هذا المجلس في ليلة 13 محرم 1439.

وقام عمر ولد الشيخ بقراءة هذه الورقة، وهذا نصُّ الكلام:

"كلمات الشيخ محمد بن هادي نزلت على رءوسهم كالصواعق، كلمات قالها ما توقعوها، هم ظنوا أنهم سيطروا على الدعوة في جميع أنحاء العالم.

أقولها الآن –وقد تتبين لكم بعد حين إن أحيانا الله-: هؤلاء فاقوا حدادية فالح الحربي، بل حدادية الحداد الأول في الخفاء في ضرب الدعوة السلفية دون أن يشعر أحد في خفية عجيبة".

فقال الشيخ –حفظه الله-: هل أنت قصدت هؤلاء بهذا الكلام؟

فقلت: لا.

فقال: لا تقلد محمد بن هادي .. فقلت: أنا لا أقلد محمد بن هادي، ولم أقلد مَن هو أكبر منه، فكيف أقلده؟! ونحن تعلّمنا من فضيلتكم تحري الدليل وعدم التعصُّب.

فقال الشيخ: إن محمد بن هادي ظلم إخوانه، وقال عنهم "صعافقة"، أي جهال، وهم يحملون شهادة الدكتوراة..إلخ.

ثم قال: مَن كنت تقصد بهذا الكلام.

قلت: قصدت الذين يتصدرون في الكتابة في مواقع النت، وهم ليسوا أهلاً للتصدر، ويثيرون الفتن، وقد بيّنت سماتهم في مقال لي نشر منذ سنتين تقريبًا بعنوان "رويبضة النت".

فكان عبدالمعطي يقاطعني بسوء أدب قائلاً: تقصد مَن؟ كلامك يتنزل على أحد معيّن!

فأجبته: يتنزل على نحو سمير بن سعيد القاهري[3].

2() سألني شيخنا الوالد حسن: مُهنَّد منهم؟ قلت: نعم.

3() وقد كنت عرضت على الشيخ مقالي هذا "رويبضة النت" بعد نشره، وذكرت له في حضور شيخنا الوالد حسن بن عبدالوهّاب البنا بعض كلمات السفيه سمير بن سعيد في السبّ والشتم، وأني عرّضت به، ولم أصرح باسمه.

فقال لي الشيخ ربيع: هذا سفيه كان يجب عليك أن تذكره باسمه وأن تحذِّر منه.

فتدخل عبدالواحد –مدافعًا عن صاحبه- كي لا ينشر عن الشيخ ما يشين هذا السفيه، وأخذ يقول: سوف نناصحه!

وكان قصدي ظاهرًا أني أقصد أشكاله من رويبضة النت، فهو مجرد نموذج واضح عند العقلاء من جهة التعالم وإثارة الفتن والسفاهة، فهذا النموذج انتشر على صفحات النت، وظنوا أنهم سوف يسيطرون على الدعوة من خلف الشاشات، وهم رويبضة، فجاءت نصائح الشيخ محمد بن هادي لطلبة العلم، والتي كنت أعلّق على بعضها من خلال تعليقي على كتابي "التعصُّب للشيوخ" مؤكدة لما ذكرته في مقالي "رويبضة النت".

وفي تلك الفترة ما كان الشيخ محمد بن هادي سمى أحدًا منهم، ولكني كنت أعرف بعض المواقف السيئة لبعضهم إجمالاً[4]، لكني كنت أحسبها مواقف فردية، وما جاء في تخيلي أنهم تنظيم عالمي يريد السيطرة على الدعوة، ثم صدق حدسي فيهم.

فلما جادلني العلامة ربيع فيهم، بينت له أني لا أعرف أغلبهم، ووجهت كلامي لعبدالمعطي قائلاً: أنا ما التقيت بك إلا مرة واحدة[5]، فكيف أتكلم فيك وأنا لا أعرفك؟

ثم وجدت منهم سوء أدب في الكلام معي وعدم مراعاة لحالة الشيخ الصحية، حيث كان خارجًا من عملية جراحية خطيرة كادت أن تودي بحياته، فأشفقت على الشيخ وما أحببت أن يتعبوه بالمجادلة، فأجبت طلب الشيخ؛ كي أؤكد له صدقي في عدم قصدهم جميعًا بهذه الكلمة، وأني لا أبدعهم، فهم بالفعل عندي سلفيون.

وكنت أشعر بتحركات ونظرات مريبة من عبدالمعطي ومهنّد، وأكّد لي هذا رفيقي محمد أمين الفرنسي!

وقد قمت بزيارة الشيخ محمد بن هادي في ليلة الخميس 4 ربيع الآخر 1439، وذلك بعد صلاة العشاء بحوالي ساعة، ولما أخبرته بما حدث مع شيخنا العلامة ربيع بن هادي من كتابتي لهذه الورقة في حقّ المذكورين، حزن الشيخ محمد، وقال لي: إن الشيخ لا يعرف شرّهم، ثم بدأ يسرد لي شيئًا من شرّهم ومكرهم بالدعوة السلفية –مما أنا أشرت إلى شيء منه في مقالي: "براءة السلفية من مجالس الشورى السرية"-[6]، وكيف أنه صبر عليهم سنوات.

ورغم ذلك لما رجعت إلى مصر جلست جلسة طويلة تزيد عن ثلاث ساعات في مناصحة هذا السفيه وموعظته، لكنه –للأسف- لم ينتفع بها واتبع هواه!

4() أقصد بهذا مواقف الزهراني في مكة في محاولة التحريش بين شيخنا العلامة ربيع بن هادي –حفظه الله-، وبعض طلبته المقربين، بل بين الشيخ وبعض المشايخ السلفيين، مما هو متواتر عنه لا ينكره منصف رأى هذا وعاشه عبر سنوات.

ثم استلم الراية منه عبدالواحد المدخلي في المدينة، كما هو متواتر عن كليهما في وقائع يندى لها الجبين يحكيها علماء أفاضل وطلبة علم ثقات وسلفيون من عامة السلفيين يستحيل تواطؤهم على الكذب!

5() وهناك أشياء أخرى لم أذكرها بعد.

6() وقد كنت عرضت على الشيخ مقالي هذا "رويبضة النت" بعد نشره، وذكرت له في حضور شيخنا الوالد حسن بن عبدالوهّاب البنا بعض كلمات السفيه سمير بن سعيد في السبّ والشتم، وأني عرّضت به، ولم أصرح باسمه.

فسألته: هل هم كانوا طلبة عندكم؟
فقال: بعضهم، نحو عبدالواحد وعبدالمعطي، كانوا أحيانًا يقرءون عليّ كتبًا في الحج، وكانوا يُمنعون من قبَل المسئولين، فكنت أشفع لهم كي يبقوهم ولا يصرفوهم.
ثم قال مبيِّنًا فضل العلامة ربيع بن هادي: أشهد أنه عالم كبير، وأنه صالح زاهد عابد فقيه، وأسأل الله سبحانه أن يبصره بأمر هؤلاء.
وبعد هذا كانت تصل إليَّ مواقف هؤلاء التي فيها إفساد وتفريق للدعوة في شتى البلدان، بجانب مقالاتهم وقواعدهم التي تحوي على مخالفات منهجية ظاهرة مما يدل على صدق حدس الشيخ محمد بن هادي فيهم.
وكان أخطر هذه المخالفات التي كُشِفت: مجالس الشورى السرية التي أبنت عن حقيقة تلاعبهم فيها في مقالي: "براءة السلفية من مجالس الشورى السرية"، هذا المقال الذي أضجّ مضاجعهم وهزَّ أركان باطلهم هزًّا –بفضل الله وقوته-، وأظهر حقيقة مكرهم بالدعوة السلفية أكثر وأكثر.
والسؤال المحرج للقوم: لماذا أبقيتم هذا التسجيل مكنونًا في جعبته من شهر رمضان 1439 إلى شهر جمادى الآخرة 1440، فلماذا تم إخراجه في ذلك التوقيت تحديدًا؟
هل القصد بنشره في ذلك الوقت هو إفادة المسلمين بما فيه من توجيهات ونصائح طيبة من شيخنا العلامة ربيع بن هادي حول أهمية إصلاح ذات البين، كما جاء في عنوان "الخبر"؟!
والإجابة –الواضحة البيّنة التي يدركها أي عاقل-: أن قصد ناشره ليس هذا القصد النبيل، إنما قصده الظاهر هو إظهار ما جاء في طيّات اللِّقاء من ذكر عبارة الشيخ ربيع في حقّ تلميذه أبي عبدالأعلى، مقحمة في هذا السياق؛ كي يظهروا للمغرَّر بهم أن أبا عبدالأعلى يريد الفتنة ولا يريد إصلاح ذات البين، كذبوا!
وها أنا ذا –بحول الله وقوته- قد أتيت على شبهتهم -الساقطة بذاتها عند العقلاء-، فصارت كالكثيب الأهيل تذروه آناء الرياح، فلا يبقى منه شيء.. {وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ}.
وسوف تمضي عليهم –إن لم يتوبوا وينيبوا- سنة الله وعقوبته التي لا تتبدل ولا تتغير: {سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ}.
وصلى الله على محمد وعلى آله وأصحابه وسلّم

وكتب

أبو عبدالأعلى خالد بن محمد بن عثمان

الثلاثاء 28 جمادى الآخرة 1440

فقال لي الشيخ ربيع: هذا سفيه كان يجب عليك أن تذكره باسمه وتحذِّر منه.

فتدخل عبدالواحد –مدافعًا عن صاحبه- كي لا ينشر عن الشيخ ما يشين هذا السفيه، وأخذ يقول: سوف نناصحه!

وبعد انتهاء قراءتي علّق الشيخ الوالد حفظه الله قائلاً:

أنت جئت بالحكاية من أصلها، جئت بها من أصلها، جئت بالموضوع من أصله، ربّنا يجعل لك مخرجًا من تلك الكرُبات، ويكفينا شرَّهم، ويثبتنا في ديننا ودنيانا؛ جزاك الله خيرًا شكر الله لك.